المحاضرة العاشرة: العصرين البويهي والسلجوقي

أولا/ عصرالنفوذ البويهي على الخلافة العباسية (334-447هـ/946-1055م)

1-البويهيون الأصل والموطن :

يرجع أصل البويهيين إلى رجل فارسي يدعى "بويه"، من إقليم الديلم في جنوب غرب بحر قزوين.

وقد قامت دولتهم على يد أولاده الثلاثة: علي-عماد الدولة- والحسن-ركن الدولة- وأحمد –معز الدولة- .

ويختلف المؤرخون في نسبهم: فبعضهم ينسبهم إلى بهرام جور أحد ملوك ساسان، وينحط بهم البعض إلى دهماء الناس، والحقيقة أنهم كانوا أسرة فقيرة ببلاد الديلم، وكان أبوهم بويه رجلا من عامة الناس يقتات من صيد الأسماك.

لكن هذه الأسرة الفقيرة عظم أمرها حتى سمى باسمها عصر من عصور الخلافة العباسية.

2- هجرتهم وتأسيسهم الدولة البويهية.

اشتغل أبناء بويه بخدمة القائد مرداويج بن زيار الديلمي الذي استقل بمنطقة طبرستان والديلم.

فقد عين هذا الأخير علي بن بويه على ولاية الكرج.

ومن هذه النقطة بدأت الهجرة البويهية نحو الجنوب حتى استقرت في إقليم فارس، واستولت على كل المنطقة الواقعة بين بحر الخزر وخليج العجم.

ففي سنة 320هـ/932م، ثار علي على سيده مرداويج بن زيار وزحف نحو الجنوب واحتل أصفهان بعد أن أخرج منها الحامية العباسية.

وفي سنة 322هـ/934م استطاع علي بالتحالف مع إخوته السيطرة على شيراز وجعلها مقرا له.

وفي سنة 323هـ/935م، استولى أخوه الحسن على بلاد الجبل في الحين فتح أخوه الأخر أحمد بلاد كرمان.

اتصالهم بالخلافة العباسية

3- اتصالهم بالخلافة العباسية:

في هذه الأثناء كانت الخلافة العباسية تعيش في الفوضى، ذلك أن الخليفة المتقي (329-333هـ/940-944م)، كان مجرد ألعوبة في يد القواد المتنافسين على السلطة من جهة وفي أيدي البريدي والي خوزستان وابن رائق والحمدانيين من جهة أخرى، وعندما حاول الدخول في مفاوضات مع إخشيد مصر أعتقله الأمير التركي توزون وسمل عينية وعين ابنه المستكفي مكانه.

لم يكن المستكفي بأحسن حال من والده، ولما عجز الأمراء على وضع حد لتمرد الجند المطالبين بدفع أرزاقهم، وكذلك إيجاد حل لشبح المجاعة التي كانت تهدد العراق، استنجد الخليفة بأحمد بن بويه الذي أضحى قوة في فارس يحسب لها ألف حساب، وذلك ليخلصه من المأزق.

4- دخول بغداد سنة 334هـ/945م: استولى أحمد على مدينة واسط بعد معركة نشبت بينه وبين البريدي والأمير توزون.

وفي أواخر سنة 334هـ/945م دخل مدينة بغداد ظافرا، فقلده الخليفة المستكفي بالله منصب (إمرة الأمراء)،وشرفه بلقب "معز الدولة".

وهكذا حل البويهيون الفرس محل الأتراك في حكم فارس والعراق، وبهذا بدأ عصر التسلط البويهي الشيعي على الخلافة واستمر إلى سنة 447هـ.

5- تسلطهم على الخلافة: حكم في العصر البويهي كل من الخليفة المستكفي وخلع في نفس السنة لانعدام الثقة بينه وبين أحمد بن بويه، وعين مكانه المطيع الذي حكم 29 سنة (334-363هـ) ثم الطائع وحكم 18 سنة (363-381م)،ثم القادر وحكم 41 سنة (381-422هـ)، ثم القائم الذي عاصر نهاية العصر البويهي وبداية العصر السلجوقي.

ساد في العهد البويهي نوع من الاستقرار السياسي فلم يعد يغير الخلفاء بسرعة كما كان من قبل.

فكر معز الدولة بعد أن دخول بغداد وسيطر على مقاليد الأمور في إلغاء الخلافة السنية وإقامة مكانها خلافة شيعية وتنصيب أحد الزعماء الشيعة الزيدية، إلا أنه أحجم عن ذلك بعد استشارة أصحابه، وأثر الإبقاء على الخليفة العباسي، متبعا في ذلك المبدأ الزيدي القائل: " بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل".

أذل بنو بويه الخلفاء، وسلبوهم سلطانهم حتى أصبحوا ألعوبة في أيديهم، حيث أصبحوا يمثلون رمزا دينيا فقط، فالخليفة لم يعد مسئولا عن الخزانة والإدارة المالية ولا عن الجند ولا عن السياسة، بل تتلخص مهمته في إعطاء الشرعية لبني بويه.

أما بالنسبة لنفقات الخليفة فقد جعلوا له راتبا يوميا يسمى (مياومة) ثم أضافوا إلى ذلك الضياع، ومع ذلك فقد كان بنو بويه يقتحموا قصر الخليفة من حين إلى أخر فينهبوا كل ما فيه من نفائس، فقد نهب قصر الراضي والمتقي

وقد لقب أمراء بنى بويه بلقب (الملك) (ملك الملوك) أو (شاهنشاه الأعظم) وحدث تغيير بالنسبة لإمرة الأمراء حيث أصبحت تورث في بيت معين، كما أصبحت المناصب في الدولة تباع وتشترى، فلما تولى معز الدولة إمرة الأمراء فرض على قاضي القضاة مالا سنويا، فأحدث هذا الأمر ثورة .

6- نهاية الدولة:

- ظهر التنازع بين أبناء بهاء الدولة بعد وفاته سنة 403هـ/1012م،على منصب إمرة الأمراء.
- ظهور نظام اجتماعي جديد تمثل في نظام الإقطاع.
- انكمش البويهيون على أنفسهم ضمن دائرة نفوذهم ولم يشتركوا في الأحداث التي كانت تشهدها المناطق الإسلامية الأخرى.
- لم يعيروا اهتماما لتنامي القوة البيزنطية كما اتخذوا موقف سلبي تجاه النزاع الحاد الذي كان يدور بين الطولونيين والإخشيديين من جهة وبين الخلافة والدولة الحمدانية من جهة أخرى.
- أما في الشرق فلم يشاركوا الدولة السامانية والغزنوية في الدفاع عن مناطق الحدود مع الهند والترك الوثنيين.
- سقطت الدولة البويهية على يد طغرلبك السلجوقي عندما دخل بغداد سنة 447هـ/1055م وأسر الملك الرحيم البويهي.

المحاضرة العاشرة:

ثانيا/ عصرالنفوذ السلجوقي على الخلافة العباسية (447-656هـ/1055-1258م).

1- السلاجقة الأصل والموطن:

يعود أصل السلاجقة إلى الأتراك الغز وتعرف قبيلتهم باسم "قنق"، التي كانت تقيم في سهول أوراسيا وصحاري أسيا الوسطى، وينتسبون إلى جدهم سلجوق بن دقاق الذي كان تحت خدمة ملك الترك بيغو، هاجر سلجوق إلى ديار الإسلام وأقاموا بنواحي مدينة جند- قريبًا من نهر سيحون- بالقرب من سمرقند واعتنق الإسلام على المذهب الحنفي ونصره بحماسة.

2- هجرتهم وتأسيسهم الدولة السلجوقية:

بعد وفاة سلجوق في جند، خلفه عدد من الأولاد ساروا على سياسته في جهاد الأتراك الوثنين فازدادت قواتهم وتوسعت أراضيهم فأكتسبوا احترام الحكام المسلمين، فقد غزا ميكائيل بن سلجوق بعض بلاد الكفار من الترك فقاتل حتى استشهد وهو من نقلهم إلى إقليم خراسان سنة 1025م.

ترك ميكائيل من الأولاد بيغو، وطغرلبك، وجغري بك داود، دانت لهم عشائرهم بالطاعة، رحل الإخوة إلى بخارى، ودخلوا في صراع مع أميرها فهزموه، ثم عادوا إلى جند وبقوا هنالك حتى زالت الدولة السامانية.

طغرلبك مؤسس الدولة السلجوقية 429هـ/1037م: هو السلطان أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق التركي الملقب بطغرلبك، في سنة 429هـ/ 1037م استولى على مرو حاضرة خراسان وذكر اسمه في خطبة الجمعة ولقب بملك الملوك.

وفي شعبان من نفس سنة التقى طغرلبك بجيش الغزنويين عند مدينة سرخس وانتصر عليهم انتصارًا حاسمًا، وشتت شملهم، فكانت هذه الموقعة هي التي ملك السلاجقة بعدها خراسان.

وفي نفس السنة استولى طغرلبك على نيسابور وأقيمت له الخطبة على منابرها وذكر اسمه مقرونًا بلقب السلطان الأعظم، واستقر بدار الإمارة وجلس للمظالم يومين في الأسبوع.

وفي سنة 1040م جرت معركة داندانيقان بين الجيش السلجوقي وجيش مسعود الغزنوي حيث أنهى الأوائل الصراع لصالحهم وفي سنة 433هـ/1041-1042م، استولى طغرلبك على بلاد الديلم وكرمان.

وفي سنة 438هـ حاصر مدينة أصبهان فصالحه صاحبها على مال يؤديه له على أن يقيم له الخطبة.

وفي السنة التالية عقد الصلح بين أبي كاليجار البويهي والسلطان طغرلبك السلجوقي وحدث بينهم مصاهره.

هكذا قامت دولة السلاجقة العظام في خراسان وفارس، وأضحت جيوشهم على أهبة الاستعداد لدخول العراق وذلك لإنقاذ الخلافة العباسية من سيطرة الشيعة البويهية.

دخول السلاجقة بغداد 1055م: كان الوضع الداخلي في بغداد تشوبه حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، مما سهل مهمة دخول السلاجقة إليها، وذلك بفعل الخلافات داخل البيت البويهي، إذ قامت النزاعات بين الأمراء البويهيين من جهة وبينهم وبين الجند من أخرى.

ففي عام 424هـ/1033م ظهر التنافس واضحًا بين جلال الدولة البويهي وبين ابن أخيه أبي كاليجار، فغدت المدينة مسرحًا للشغب والمنازعات المذهبية والأسرية.

ولما توفى جلال الدولة في عام 435هـ/1044م لم يتمكن ابنه الملك العزيز من الاحتفاظ بالحكم طويلاً، مما دفع أبو كاليجار إلى تثبيت أقدامه في الحكم، واستقر في بغداد في عام 436هـ/ 1045م.

نتيجة لهذا التنافس الأسري، وبفعل ثورات الجند المستمرة فقد الأمن في بغداد.

وما زاد الطين بلة هو بروز فتنة عظيمة، تمثلت في محاولة الفاطميين الاستيلاء على بغداد، ونفي الخليفة العباسي بمساعدة أبو الحارث أرسلان البساسيري، أحد قادة بني بويه الأتراك المتشيعين الذي سيطر على بغداد وما جاورها، وأصبح يتمتع بنفوذ كبير لدرجة أنه أضحى يخطب له على المنابر في العراق والأهواز، ولم يعد بإمكان أي من الخليفة العباسي أو الملك البويهي اتخاذ أي قرار يتعلق بأمور الدولة إلا بموافقته، وقد شكل هذا القائد خطرًا حقيقيًا على الخلافة العباسية والدولة البويهية:

1- أما خطره على الخلافة فقد تجلى حين نشب الخلاف بينه وبين الخليفة القائم مما دفعه للإستنجاد بالفاطميين.

2- أما خطره على الدولة البويهية فقد تجلى في الخلاف الذي نشأ بينه وبين الملك الرحيم البويهي مما هدد النفوذ البويهي في العراق بعد ضياع أملاكهم في إيران على يد السلاجقة.

في هذا الجو المضطرب استنجد الخليفة القائم بأمر الله بالسلطان السلجوقي طغرلبك طالبًا مساعدته ضد البساسيري.

فانتهز هذا الأخير الفرصة، وسار بجيوشه إلى بغداد، ودخلها في عام 447هـ/1055م، واعترف الخليفة به سلطانًا على جميع المناطق التي تحت أيديه وأمر بأن يذكر اسمه في الخطبة، وهكذا أصبح العراق ضمن دائرة نفوذ السلاجقة العظام

3-علاقتهم بالخلافة العباسية:

استطاع طغرلبك أن يقضي على تمرد أخيه (إبراهيم ينال)، وثورة البساسيري الشيعي، وأن يعيد الأمن والاستقرار إلى بلاد الرافدين.

وظلت العلاقة الطيبة قائمة بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية ما يقارب ثمانية عشر عامًا، لكن سرعان ما نشب الخلاف بين الطرفين؛ بسبب محاولة طغرلبك الاستئثار بجميع السلطات في العراق حتى تلك المتعلقة بالخليفة، إضافةً إلى أنه حمل موارد العراق المالية إلى الخزانة السلجوقية.

توفي طغرل بك سنة 455هـ/1063م، في خلافة القائم وتولى الأمر بعده السلطان عضد الدولة أبي شجاع ألب أرسلان.

ألب أرسلان:

بعد وفاة طغرلبك استطاع خليفته ألب أرسلان أن يوسّع نفوذه على حساب الدولة الفاطمية، فانتزع منها حلب ثم مكة والمدينة، وذلك بعد أن أمن ظهره في بلاد ما وراء النهروخرسان بتوثيقه العلاقة مع الدولتين الغزنوية والخانية عن طريق المصاهرة.، وذلك كي لا يطعن من الخلف.

معركة ملاذكرد 1071م:

* قام ألب أرسلان بحملة كبيرة ضد الأقاليم النصرانية المجاورة لدولته، وقاد جيشه نحو جنوب أذربيجان واتجه غربًا لفتح بلاد الكرج والمناطق المطلة على بلاد البيزنطيين، وكان سكان الكرج يكثرون من الإغارة على أذربيجان فأصبحوا مصدر قلق لسكان المنطقة، مما أضطر ملك الكرج أن يهادن ألب أرسلان ويصالحه على دفع الجزية.

هنا أصبح الطريق مفتوحًا أمام السلاجقة للعبور إلى الأناضول بعد أن سيطروا على قلب أرمينية، كان ذلك تحديًا لبيزنطة وأدركت أن ألب أرسلان يصبغ غزوه للبلاد بصبغة الجهاد الديني وأن الحرب بين المسلمين والبيزنطيين أمرًا لا مفر منه.

خرج رومانوس ملك الروم في جمع كثير من الروم والروس والكرج والفرنجة وغيرهم من الشعوب النصرانية، وقدر الجمع بـ 300 ألف جندي، وذلك لملاقاة السلطان السلجوقي.

وكان السلطان في قلة من أصحابه حيث قدر جيشه ب 15 ألفًا، ولم يكن لديه وقت لاستدعاء مدد من المناطق التابعة له، هنا قال ألب أرسلان قولته المشهورة: "أنا أحتسب عند الله نفسي، وإن سعدت بالشهادة ففي حواصل الطيور الخضر، وإن نصرت فما أسعدني ...."

هجم السلطان ألب أرسلان بمن معه على مقدمة الأعداء وكان فيها عشرون ألفًا معظمهم من الروس، فأحرز المسلمون انتصارًا عظيمًا وتمكنوا من أسر الإمبراطور رومانوس 4.

نتائج المعركة:

رغم الفرق الكبير بين عدد المسلمين والبيزنطيين إلا أن المسلمين استطاعوا الانتصار على البيزنطيين وليس الأمر عدد ولا عتاد ولكنه نصر من الله عز وجل عندما كانت النية خالصة لله عز وجل.

ومن الأمور التي يجب الإشارة إليها في هذه الموقعة هو دور العلماء في تثبيت القادة والجنود وتذكيرهم بالله واليوم الآخر، فعندما يصلح حال العلماء يصلح أحوال الرعية وبالتالي يصلح حال الأمة كلها .

كان لمعركة ملاذكرد أثر بالغ فقد انتشر السلاجقة في آسيا الصغرى وضموا إلى ديار الإسلام مساحة تزيد عن 400 ألف كلم.

تعتبر هذه الموقعة نقطة تحول في التاريخ الإسلامي فلأول مرة يقع الإمبراطور نفسه أسيرا في أيدي المسلمين.

وتعد هذه الموقعة أكبر نكسة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية إذ أصبحت الأراضي البيزنطية تحت رحمة السلاجقة ولذلك يسميها بعض المؤرخين باسم الملحمة الكبرى.

- **عصر ملكشاه:**

حافظ ملكشاه على ما تركه أبوه ألب أرسلان، واستطاع القضاء على الثورات التي حدثت في بداية عهده، ونشر العدل والأمن والطمأنينة في البلاد، وكان مما يميز ملكشاه أنه كان مولعًا بالفلك، وشجع دراسة العلوم الدينية والعقلية.

بمساعدة وزيره المشهور(نظام الملك) الذي أسس المدرستان العظمتان اللتين تعرفان باسمه في بغداد ونيسابور.،و قتل نظام الملك على يد ألد أعدائه الشيعة الإسماعيلية 485هـ/1092م، توفي السلطان ملكشاه بعد مصرع وزيره بـ: 35يوم فقط، سنة 485هـ/ 1092م، وبعد وفاته انفرط عقد الدولة السلجوقية **وبدأت عوامل الضعف والانهيار تدب في أوصالها ذلك:**

1- لتنافس الأمراء على عرش السلطنة، فضعفت بالتالي سيطرة الدولة على مختلف أقاليمها، مما جعلها عاجزةً عن التصدي للحملات الصليبية .

2- إضافةً إلى الحركة الباطنية التي أعاقت جهاد السلاجقة، وعملت على التصفية المستمرة باغتيال سلاطين السلاجقة وزعمائهم وقادتهم.

وعلى الرغم من أن السلاجقة كانوا عنصر جديد طرأ على المجتمع الإسلامي إلا أن عصرهم كان أكثر ازدهارا، كما كان لهم الفضل في تجديد قوة الإسلام السني.

ووصل المسلمون في عهدهم إلى درجة عظيمة من التقدم في كثير من علوم الحضارة، وازدهرت في عهدهم الفنون بجميع أنواعها.